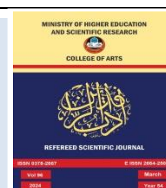


Adab Al-Rafidain

https://radab.mosuljournals.com



Aspects of the Arabic courage between Ibn Jinni (d. 392 AH) and modern linguistic studies

Abdullah Kheleif Alhayani
Asst. Prof./Department of Arabic language./ College of Arts/ University of Mosul

Article Information
Article History:
Received June 02, 2023
Reviewer June 23 .2023
Accepted June 24, 2023
Available Online March 01 , 2024
Keywords:
Linguistics
Arabic courage
language
Ibn Jinni
Correspondence:
Abdullah Kheleif Alhayani
abdullah.khalif.k@uomosul.edu.iq

Abstract
This research aims to shed light on what is known as (the courage of Arabic) in the light of the old concept and its development in modern linguistic studies. An important issue that made it from the courage of the language, namely the laws or phenomena that the language uses in order to adapt to the verbal event through mechanisms and phenomena that were in the opinion of Ibn Jinni courageous; Because it may transcend the linguistic system to another system within the same language, such as deletion, or addition, or presenting and delaying, or distorting, or carrying the meaning.

DOI: 10.33899/radab.2023.140764.1942, ©Authors, 2023, College of Arts, University of Mosul.

جوانب من شجاعة العربية بين ابن جنّي (ت392هـ) والدراسات اللسانية الحديثة

عبدالله خليف الحياني *

المستخلص
فإنّ هذا البحث يهدف إلى تسليط الضوء على ما عرف بـ(**شجاعة العربية**) في ضوء المفهوم القديم وتطوره في الدراسات اللسانية الحديثة، وربّما كان الباب الذي تحدث فيه ابن جنّي في كتابه الخصائص عن شجاعة العربية مدخلاً مهمًا للانطلاق إلى هذا الموضوع الذي فتح الآفاق وسلط الضوء على مسألة مميزة جعلها من شجاعة اللغة ألا وهي الظواهر التي تستعملها اللغة من أجل التأقلم مع الحدث الكلامي عبر آليات وظواهر كانت في نظر ابن جنّي شجاعة؛ لأنّها قد تخرج على النظام اللغوي إلى نظام آخر داخل اللغة نفسها كالحذف مثلاً، أو الزيادة، أو التقديم والتأخير، أو التحريف، أو الحمل على المعنى.
الكلمات المفتاحية : لسانيات ، شجاعة العربية ، لغة ، ابن جنّي

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على مجد وعلى اله وصحبه أجمعين، وبعد:

مدخل/ الشجاعة في اللغة والاصطلاح:

إنّ رؤيتنا لمفهوم (**شجاعة العربية**) تنطلق من حيث بدأ ابن جنّي ومن بابه (**باب في شجاعة العربية**) لنتخذ من عنوان الباب ملحظا مميّزًا في التحليل ونبدأ بصفة التنكير لـ(باب) واستعمال حرف الجر (في)، فجعل ابن جنّي (بابا) نكرة، ولم يقل: (**باب شجاعة العربية**)؛ ومن ثم جعل العنوان عاما أي أنّه قد يكون بابًا من أبواب كثيرة لشجاعة العربية، ودلّ حرف الجر (في) على الظرفية والمداخلة أو ما عرف بالوعاء "حقيقة أو مجازاً. فالحقيقة نحو: جعلت المتاع في الوعاء، ومنه قوله تعالى: (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)، والمجاز كقولك: دخلت في الأمر وتكلمت في شأن حاجتك"(1)؛ من هنا يفسر الاستعمال على أنّ هذا الباب

*** أستاذ مساعد /قسم اللغة العربية /كلية الآداب / جامعة الموصل**

(1) رصف المباني في شرح حروف المعاني، للإمام احمد بن عبد النور المالقي (ت702هـ)، تحقيق: أ.د. أحمد مجد الخراط، دار القلم ـ دمشق ـ سوريا، ط3، 1423هـ ـ 2002م: 450 ـ 451.

داخل في جوهر شجاعة العربية ومن أصوله وركائزه، ولم يستعمل حرف الجر (من) الذي يدلّ على التبعيض أو بيان الجنس[2] (**من شجاعة العربية**) أي عدد من صفات أو آليات شجاعة العربية، وهنا السؤال الذي يتبادر إلى الذهن: هل المسائل التي ذكرها ابن جنّي في هذا الباب هي كلّ ما يتعلق بشجاعة العربية ولا يوجد معها شيء آخر؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه في البحث والوقوف عليه.

أمّا الجانب الثاني من التحليل فيتعلق بالمعنى المعجمي من لفظة شجاعة نفسها؛ وذلك من أجل فهم دلالة (**شجاعة**) التي وصف بها ابن جنّي اللغة العربية، فلو رجعنا إلى لسان العرب واطلعنا على مادة (**شجع**) لوجدنا أنّ لها مدلولات كثيرة، وردّه ابن فارس إلى أصل واحد يقول: "الشِّينُ وَالْجِيمُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى جُرْأَةٍ وَإِقْدَامٍ، وَرُبَّمَا كَانَ هُنَاكَ بِبَعْضِ الطُّولِ، وَهُوَ بَابٌ وَاحِدٌ. مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلُ الشُّجَاعُ، وَهُوَ الْمِقْدَامُ، وَجَمْعُهُ شَجَعَةٌ وَشُجَعَاءُ"[3]، و"(شَجُعَ) بالضم شَجاعةً اشْتَدَّ عِنْدَ البَأْسِ، والشَّجاعةُ شِدّةُ القَلْبِ في البأْس، والشَّجِعةُ من النساء الجَرِيئةُ على الرجال في كلامها وسَلاطَتِها، وقيل: إنّ قولهم: (رجل شُجاعٌ) لا توصف به المرأَة، والأَشْجَعُ من الرجال مثل الشُّجاع ويقال للذي فيه خِفَّةٌ كالهَوَج لقُوّته ويسمى به الأَسَدُ، ويقال للأَسد أَشْجَعُ وللّبُوءَة شَجْعاءُ، وتَشَجَّعَ الرجلُ أَظْهَرَ ذلك من نفسه وتَكَلّفه وليس به، وشَجَّعَه جعله شُجاعاً أَو قَوَّى قلبه، وحكي هو يُشَجَّعُ أَي يُرْمى بذلك ويقال له، وشَجّعه على الأَمر أَقْدَمَه، والمَشْجُوع المَغْلوبُ بالشجاعة، والأَشْجَعُ من الرجال الذي كأَنَّ به جنوناً، وقيل الأَشْجَعُ المجنون، وقد قيل إنّ الأَشجع من الرجال الذي كأَنَّ به جنوناً قال وهذا خطأ ولو كان كذلك ما مَدح به الشُّعَراء وبِهِ شَجَعٌ أَي جُنون والشَّجِعُ من الإبل الذي يَعْتَرِيه جنون، وقيل هو السريع نَقْلِ القوائمِ وناقة شَجِعةٌ وقَوائِمُ شَجِعاتٌ سريعة خفيفة والشجعات قَوائِمَ الإبل الطِّوال والشَّجَعُ في الإبل سُرْعةُ نقل القوائم جمل شَجِعُ القوائِمِ وناقة شَجِعةٌ وشَجْعاءُ أَشجَعُ طويلٌ، والشَّجْعةُ الفَصِيلُ تَضَعُه أُمّه كالمُخَبَّلِ والأَشْجِعُ في اليد والرجل العَصَبُ الممدودُ فوق السُّلامى من بين الرُّسْغِ إلى أُصول الأَصابع التي يقال لها أَطنابُ الأَصابع فوق ظهر الكف، وقيل هو العظم الذي يصل الإِصْبَعَ بالرُّسْغِ لكلّ إِصبع أَشْجَع واحتج الذي قال هو العصب بقولهم للذئب وللأَسد عارِي الأَشاجِعِ فمن جعل الأَشاجِعَ العصب قال لتلك العظام هي الأَسْناعُ واحدها سِنْعٌ وفي صفة أَبي بكر ـ رضي الله عنه ـ عارِي الأَشاجِعِ هي مَفاصِلُ الأَصابع واحدها أَشجَع أَي كان اللحم عليها قليلاً، وقيل هو ظاهر عصبها وقيل الأَشاجع رؤوس الأَصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكفّ وقيل الأَشاجع عُروق ظاهر الكف وهو مَغْرِزُ الأَصابع والجمع الأَشاجع وناس يزعمون أَنه إِشْجَع مثل إِصْبَع. ويقال للحيَّة أَشْجَع وأَنشد فَقَضى عليه الأَشْجَعُ وأَشْجَع ضرب من الحيات وتزعم العرب أَن الرجل إذا طال جوعه تعرّضتْ له في بطنه حية يسمونها الشُّجاعَ والشِّجاع والصَّفَرَ ، قال الأَصمعي شُجاعُ البطن وشِجاعُهُ شِدَّةُ الجوع، وقيل الشُّجاعُ ضرب من الحيات لطيف دقيق والشُّجاعُ والشِّجاعُ بالضم والكسر الحيّةُ الذكَر وقيل هو الحية مطلقاً وقيل هو ضَرْب من الحيّات وقيل هو ضرب منها صغير والجمع أَشْجِعةٌ وشُجْعانٌ وشِجْعانٌ وقيل هو جمع أَشْجِعةٍ وأَشْجِعةٌ جمع شُجاع وشِجاع وهو الحية والشَّجْعَمُ الضَّخْم منها وقيل هو الخَبيث المارِدُ منها. ومَشْجَعةُ وشُجاعٌ اسمانِ وبنو شَجْع بطن من عُذْرَةَ وشِجْعٌ قبيلة من كِنانة وقيل إن في كلب بطناً يقال لهم بنو شَجْعٍ بفتح الشين، وفي الأَزْد بنو شُجاعةَ وأَشْجَعُ قبيلة من غَطَفان وأَشْجَعُ في قَيْس"[4]

من خلال ما تقدم نجد مدلولات لغوية كثيرة لمادة (شجع) غير أنّها مختلفة؛ ومن هنا جاء السؤال بأيّ شيء وصف ابن جنّي العربية بالشجاعة ؟ أمن الشدة والقوة أم من الطول أم من الدقة والخفة أم من السرعة أم من الطيش والجنون أم من الجراءة وسلاطة اللسان أم هي مرتبطة بالدلالة الحسية لمادة (شجع) من (الحية)، أم العصب، أم من القبيلة بوصفها مدلول الانتماء.

وفي ضوء ما تقدم امتازت شجاعة العربية بصفات كثيرة بما عرضناه غير أننا نرى أنّ ابن جنّي أراد المدح والفخر باللغة العربية ولم يرد المعاني السلبية التي قد تحملها عدد من الدلالات؛ من هنا كانت الشجاعة في العربية على جوانب كثيرة، فشجاعتها في شدتها وصلابتها ولا سيما أنّها تعرضت في كثير من الأزمان إلى محاولات إزاحة وتغيير وانهاء إلاّ أنّها استطاعت الصمود طوال هذه القرون؛ ومع قراءة ما أورده ابن جنّي نرى أنّه ربط الشجاعة باللغة العربية نفسها، واستعمل حرف الجر (في)؛ ليدل على أنّ هذه الآليات أو الصفات هي صفات داخلية للغة العربية[5]، وهي مصدر قوتها وشدتها، فالاستعراض السريع لما تضمنه هذا الباب يحقق لنا الرؤية التي ذكرناها عن مفهوم الشجاعة، فضلا عن ذلك يشير المفهوم إلى أنّ اللغة العربية لغة مرنة الاستعمال وواسعة المعاني

---

(2) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، الإمام أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن احمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري المصري (ت761هـ) ، تحقيق : محمد محيى الدين عبدالحميد، دار الطلائع، القاهرة . مصر ، (د.ط) ، 2005م: 331/1.

(3) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا الرازي (ت395هـ) وضع حواشيه ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، ط2 ، 2006م: 641/1.

(4) لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الانصاري الافريقي المصري (ت711هـ) ، حققه وعلق عليه ووضع حواشية : عامر احمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل ابراهيم ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط1 ، 1426هـ ـ 2005م : 5/ 158 . 160.

(5) من معاني (في) : الظرفية ، ولا يثبت البصريون غيره وقد تكون للظرفية حقيقة نحو قوله تعالى : (وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ) ، أو مجازا نحو قوله تعالى : (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)، ينظر : الجنى الداني في حروف المعاني ، الحسن بن قاسم المرادي (ت749هـ) ، تحقيق : د.فخر الدين قباوة، والاستاذ محمد نديم فاضل ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان، ط1 ، 1413هـ . 1992م : 250.

وكثيرة الألفاظ أي أنّها لغة تتسم بالاتساع المتمثل بظواهر الحذف والزيادة والاستبدال والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتحريف.

آليات الشجاعة بين ابن جنّي والدراسات الحديثة:

يمكن الانطلاق من أفكار ابن جنّي في هذا المجال لنعده القاعدة الأساس؛ ومن ثم الانتقال إلى الافكار الحديثة يقول ابن جنّي في كتابه الخصائص في (**باب في شجاعة العربية**): "اعلم أن معظم ذلك إنّما هو الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتحريف"[(6)]؛ من هنا كانت الآليات التي اعتمدها ابن جنّي في رؤيته لشجاعة العربية:

أـ الحذف والزيادة:

اتخذ أصحاب النحو التوليدي والتحويلي من (**الحذف والزيادة والتقديم والتأخير**)، مظهراً من مظاهر النحو التوليدي والتحويلي؛ إذ نستطيع عبره توليد عدد من الجمل[(7)]. وهذه الآليات التي ذكرها ابن جنّي تدرج ضمن النظرية (**التوليدية التحويلية**) لجومسكي التي لاقت شهرة واسعة في عصرنا الحاضر وعدت اكتشافاً عظيماً مع ذلك لم يصفها جومسكي بالشجاعة في لغته ووصفها ابن جنّي بالشجاعة في لغتنا؛ ذلك أنّها تسهم في تفكيك بنية الخطاب وإعادة تركيبه على وفق قواعد الحذف والزيادة والتقديم والتأخير؛ ومن ثم اختلاف الدلالة من خطاب إلى آخر. فالحذف ركن أساس لما له من أهمية في اتساع المعنى واختلاف الدلالة، وكان أمن اللبس الشرط الأساس فيه لدى العرب ، جاء في توضيح المقاصد والمسالك: "والمطرد حذفه مع (أنّ وأنْ) بشرط أمن اللبس نحو: (**عجبت أنك فاضل**) أي: من أنك فاضل، و(**عجبت أن يَدُوا**) أي: يغرموا الدية"[(8)]، ولا حاجة لنا إلى تقسيمه وبيان أنواعه لضيق الوقت والتزام البحث بعدد معين من الصفحات غير أنّ ما يهمنا اختلاف الرؤية في الحذف بين القديم والحديث فربّما كان الحذف سابقا ـ عند عدم أمن اللبس ـ يعد عنصرا مفككا للنص وضعفا فيه، فالحذف ظاهرة لا تكاد تختص بباب، ولا تقتصر على مسألة، ويراد بها حذف ما يمكن الاستغناء عنه من الألفاظ لداع يقتضيه السياق، يقول عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) عن الحذف: "هو بابٌ دقيقُ المسلك، لطيفُ المأخذ، عجيبُ الأمر، شبيه بالسِّحر، فإنَّك ترى به ترك الذِّكْر أفصحَ من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيدَ للإفادة، وتجدُك أنطقَ ما تكونُ إذا لم تنطِقْ، وأتمَّ ما تكون بياناً إذا لم تُبِن"[(9)]، وهو جائز على أن لا يترتب على حذفه إساءة للمعنى، أو فساد في الصناعة اللفظية؛ لذا وضع العرب للحذف شروطاً منها أن لا يؤدي إلى إغلاق النص، يقول الجاحظ (ت255هـ): "وإنّما ينبغي له أن يحذف بقدر ما لا يكون سببا لإغلاقه، ولا يردّد وهو يكتفي في الإفهام بشطره"[(10)]، كما اشترطوا أن "لا يكون في الحذف ضرر معنوي أو صناعي يقتضي عدم صحة التعبير في المعيار النحوي"[(11)]، ومن ثم الخروج بالكلام عن قوانين اللغة والنحو، واشترطوا أيضاً أن لا يؤدي الحذف إلى اللبس أو فساد المعنى وأن يدل عليه دليل مقالي أو مقامي، يقول العلوي: "لا بدّ من الدلالة على ذلك المحذوف، فإن لم يكن هناك دلالة عليه فانّه يكون لغوا من الحديث، ولا يجوز الاعتماد عليه، ولا يحكم عليه بكونه محذوفا بحال"[(12)]. فلا بدّ للحذف من دليل وإلاّ كان الكلام لغوا، ولا يعتمد عليه، ولا يحكم عليه بكونه محذوفا بأي حال من الأحوال، فهذا ممّا يجهد المتلقي في تقدير المحذوف، وهذا ما أكده ابن جنّي بقوله : "... وليس شيء من ذلك إلاّ عن دليل عليه، وإلاّ كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته"[(13)].

وفي الدراسات الحديثة ولا سيما في علم لغة النص بدأ ينظر إلى الحذف على أنّه عنصر مهم في تماسك النص وانسجامه؛ إذ إنّه يعد منبهاً ومحفزاً للمتلقي من أجل الوصول إلى دلالة النص عبر فك شفراته وإكمال ثغراته مع ذلك تعاملت اللغة العربية مع

---

(6) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت 392هـ) ، تحقيق محمد علي النجار ، تقديم الدكتور عبد الحكيم راضي ، دار الكتب المصرية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة – القاهرة، (د.ط)، 2006م: 360/2.

(7) ينظر: في نحو اللغة وتراكيبها ، منهج وتطبيق ، د.خليل احمد عمايرة ، عالم المعرفة ـ جدة ، ط1 ، 1404هـ ـ 1984م: 134. 148.

(8) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، ابو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت 749هـ)، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان ، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر ، دار الفكر العربي، ط1، 1428هـ – 2008م : 2 / 625.

(9) دلائل الإعجاز ، الامام عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)، شرح وتعليق: د. محمد عبدالمنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت ـ لبنان ، ط1 ، 1424هـ ـ 2004م: 131.

(10) الحيوان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط2، 1424هـ :62/1.

(11) الجملة العربية تأليفها وأقسامها، د. فاضل صالح السامرائي ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، بغداد ـ العراق ، (د.ط) ،1414هـ ـ 1994م/83.

(12) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز ، الامام يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي اليمني ، مراجعة وضبط وتدقيق: محمد عبدالسلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط1 ، 1415هـ ـ 1995م:247.

(13) الخصائص : 362/2.

الحذف بحذر ووضعت له شروطا حتى لا تكون الدلالات متسعة أكثر ممّا يجب فندخل في دوامات التأويلات البعيدة[14]، ويتمثل الحذف في علاقة داخل النص، ويختلف عن الاستبدال؛ لأنّه يمثل استبدالا بالصفر أي أنّ علاقة الاستبدال تترك أثراً، وأثرها هو وجود أحد عناصر الاستبدال، أمّا الحذف فلا يخلف أثراً؛ لذا فإنّ المستبدل يبقى مؤشرًا يسترشد به القارئ للبحث عن العنصر المفترض؛ ممّا يمكنه من ملء الفراغ الذي خلفه الاستبدال في حين أنّ الأمر على خلاف ذلك في الحذف، إذ لا يحل محل المحذوف شيء، ومن ثم نجد في الجملة فراغاً بنيوياً يهتدي به القارئ إلى ملئه اعتماداً على قرائن وردت في النص أو اعتماداً على قرائن خارج النص أو اعتماداً على السياق، والحذف في معظم الأحيان علاقة قبلية؛ إذ يوجد العنصر المفترض في موضع في النص قبل موضع الحذف[15]؛ ومن ثم عُدّ الحذف في الدرس اللساني النصّي اعتدادا بالمبنى العدمي وهو ما يطلق عليه: المورفيم الصفري، فالبنيات السطحية في النصوص غير مكتملة على عكس ما قد تبدو لمستعمل اللغة العادي، ففي قوله تعالى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [سورة آل عمران: 18] فلا مفر من فهم (وشهد الملائكة وشهد أولو العلم) بدليل ما في آخر الآية من قوله تعالى: (لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)، ولولا هذا الفهم لجعلنا الملائكة وأولي العلم آلهة مع الله سبحانه وتعالى ولكن هذا الفهم يمكن أن نصل اليه من غير هذا التحليل فالنص وما فيه من مناسبة بين أول الآية وآخرها وما يحيط به من سياق وخطابات أخرى يحول دون الفهم الخاطئ فالعنصر المحذوف متوقع نحويا أو كما يسمّيه النحاة العرب (مقدر) ويستعان على تقديره بدليل الحذف[16]، فالحذف في الدراسات الحديثة يعد تغييرا دلاليا يتطلب منا العنصر المحذوف النظر في النص كلّه أو العبارة كلّها من أجل الوصل اليه، فهو مرتبط من ناحية المعنى بالنص الذي ورد فيه، وبالمتلقي عن طريق بحثه عن العنصر المحذوف ليحاول أن يتلمّس المعاني التأويلية الصحيحة للنص، معتمدا على السياق اللغوي والسياق الموقفي؛ ومن هنا كان الحذف من الوسائل المهمة في عملية التماسك النصي وتنطلق هذه الأهمية من علاقته بالمرجعية، فالمرجعية علاقة شديدة الوضوح، وهي من الجوانب التي تؤكد تلك الأهمية لتوفر دليل أو قرينة مصاحبة تسهم في تقدير المحذوف، وقد تكون مرجعية الحذف إلى خارج النص، وقد تكون مرجعية الحذف علاقة قبلية يعود فيها المتلقي إلى الخلف من أجل أن يبحث عن العنصر المفترض الذي يقوده إلى معرفة العنصر المحذوف في الجملة الثانية، وفي هذا إحالة إلى السابق، مثل قوله تعالى: (وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا) [سورة النحل:30]: أي: (قالوا أنزل ربنا خيراً). وفي هذا مرجعية قبلية بين العنصر المحذوف في الجملة الثانية (أنزل ربنا). وبين المذكور في الجملة الأولى (أنزل ربكم). وقد تكون مرجعية الحذف بعدية؛ إذ يتأخر فيها الدليل عن العنصر المحذوف، ومثال ذلك قوله تعالى: (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ) [سورة التوبة: 62] فَالوجه كان "أَن يَجِيء يرضوهما وَلكنه أفرد على تَقْدِير وَالله أَحَق أَن يرضوه وَرَسُوله أَحَق أَن يرضوه، فَحذف الْخَبَر من الأول لدلَالَة الثَّانِي عَلَيْهِ، وَهُوَ أولى من أَن يَجْعَل الْمَحْذُوف خبر الثَّانِي لما فِيهِ من التَّفْرِيق بَين الْمُبْتَدَأ وَخَبره؛ وَلِأَنّ فِي ذَلِك التَّقْدِير جعل الْخَبَر للأقرب إِلَيْهِ"[17]، ومن الأمثلة على الحذف أيضا قول الشاعر[18]:

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنا، وأَنتَ بِمَا عِنْدَك راضٍ، والرَّأْيُ مُخْتَلِفُ

وَلَمْ يَقُلْ راضِيان وَلا راضُون، أَراد: نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا رَاضُونَ وأَنت بِمَا عِنْدَكَ راضٍ، ففي هذا المثال مرجعية بعدية بين العنصر المحذوف في الجملة الأولى (راضون) وبين العنصر المذكور في الجملة الثانية (راض). وعليه فمرجعية الحذف قد تكون داخلية سابقة أو لاحقة أو متبادلة، وغالبا ما تكون على مستوى أكثر من جملة، وفي هذه الحالة تحقق التماسك النصي، كما يمكن أن تكون خارجية. وهنا نستعين بسياق الحال من أجل تفسير المحذوف وفي هذه الحالة لا تسهم المرجعية في تحقيق التماسك النصي؛ لأنّها تحيل إلى خارج النص[19]؛ من هنا كانت الدراسات التي عنيت بلسانيات النص والدراسات النصية قد تناولت الحذف بوصفه

---

(14) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق ، د.عزة شبل محمد ، تقديم د.سليمان العطار ، الناشر مكتبة الآداب، القاهرة ـ مصر ، ط1 ، 1428هـ ـ 2007م: 169.

(15) ينظر : الانسجام في النص القرآني مظاهره وجمالياته ، د. عبد الله خليف خضير الحياني ، دار النابغة للنشر والتوزيع ، مصر ، ط1 ، 1441هـ ـ 2019م :82.

(16) ينظر: النص والخطاب والاجراء ، روبرت دي بوجراند، ترجمة د. تمام حسان، عالم الكتب، ط1، 1418هـ ـ 1998م: 34 ـ 35.

(17) الفصول المفيدة في الواو المزيدة، صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي العلائي (ت761هـ) ، تحقيق: حسن موسى الشاعر، دار البشير – عمان، ط1، 1410هـ 1990م: 65.

(18) البيت في كتاب سيبويه لقيس بن الخطيم، ينظر: الكتاب، ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت180هـ)، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، دار الرفاعي بالرياض، ط2، 1403هـ – 1983م: 74/1، وفي كتاب الانصاف في مسائل الخلاف لدِرْهَمُ بن زيد الأنصاريّ، ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين والكوفيين، الإمام كمال الدين أبو البركات عبدالرحمن بن محمد بن ابي سعيد، الانباري، النحوي (ت577هـ)، ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف، محمد محيى الدين عبدالحميد، دار الفكر، (د.ط)، (د.ت): 79/1، وفي لسان العرب: عَمْرِو بْنِ امْرِئِ الْقَيْسِ الأَنصاري ، ينظر لسان العرب: مادة (فجر): 624/3.

(19) ينظر : (الحذف في ضوء علم لغة النص)، أ. محمد الأمين مصدق ، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب ، مج 3 ، ع 2 ، الجزائر ، 2019م: 275

مظهراً من مظاهر الربط في النص؛ لذا يمكن إدراجه تحت التماسك والاتساق بوصفه وسيلة من وسائل الربط؛ فاتخذ الحذف فيها بعداً لغوياً آخر، إذ أصبح التركيز عليه بوصفه إحدى الأدوات التي تحقق الاتساق النصي[20]، ويتمثل الحذف في علاقة داخل النص تتمثل في أنّه لا يخلف أثراً في النص؛ إذ لا يحل محل المحذوف شيء، ومن ثم نجد في الجملة فراغاً بنيوياً يهتدي به القارئ إلى ملئه اعتماداً على قرائن وردت في النص أو اعتماداً على قرائن خارج النص أو اعتماداً على السياق، ويتمثل الحذف في معظم الأحيان في علاقة قبلية؛ إذ يوجد العنصر المفترض في موضع في النص قبل موضع الحذف[21]، ويسهم الحذف في تحقيق الاتساق عبر محورين:

الأول: التكرار: إذ يعمل على استمرارية المعنى، فالحذف يقع في سطح النص، أي على البنية الشكلية له، ولكنّه يعامل معاملة المذكور من حيث المعنى.

الثاني: المرجعية: وتتمثل في إحالة المحذوف على المعنى المذكور[22].

أمّا الزيادة فكانت آلية أخرى من آليات شجاعة العربية وعنصرا مهما في اتساع الدلالة؛ لذا اعتمدت القاعدة (كلّ زيادة في المبنى يقابلها اختلاف في المعنى) أو(زيادة في المعنى)[23]، والمقصود الاتساع؛ ولما كانت الألفاظ قوالب للمعاني كانت الألفاظ مقيدات لدلالاتها، يقول ابن جنِّي: "فقد رأيت ـ بما أوردناه ـ غلبةَ المعنى للفظ وكونَ اللفظ خادمًا له مُشيدا به وأنه إنما جيء به له، ومن أجلِهِ"[24]، والزيادة كما هو معروف ركن أساس في النظرية التوليدية التحويلية وتعد بابا مهما فيه لتوليد الجمل واتساعها[25].

ب ـ التقديم والتأخير:

أمّا التقديم والتأخير فحاله كحال العنصرين السابقين دخل ضمن النظريات الحديثة، وأسهم في اختلاف الدلالة وإن استوت الالفاظ في التركيب فقولنا: (جاء زيد من اقصى المدينة) يختلف في الدلالة عن قولنا: (جاء من اقصى المدينة زيد)، واعتمدت النظرية التوليدية والتحويلية عليه بشكل كبير ؛ إذ يقوم مفهوم التحويل على الملاحظة الآتية: توجد في اللغة جمل يرتبط بعضها ببعض بصورة وثيقة، ولا يمكننا، من خلال دراسة عناصرها فقط، أن نلحظ الصلة القائمة بينها. لتأخذ على سبيل المثال الجمل الآتية:

أ ـ أكل الرجل التفاحة.

ب ـ الرجل أكل التفاحة.

جـ ـ التفاحة أكلها الرجل.

لكي نفسر العلاقة القائمة بين هذه الجمل لا بد من وجود مفهوم يتيح لنا أن نبحث في علاقة الجمل بعضها ببعض، وكذلك يسمح لنا بأن نعيد تركيب عناصرها. من هنا اعتمدت النظرية التوليدية التحويلية مفهوم التحويل الذي ينص على امكانية تحويل جملة معينة إلى جملة أخرى واعتماد مستوى أعمق من المستوى الظاهر في الكلام. وبإمكان مفهوم التحويل أن يكشف، أيضاً، المعاني الضمنية للجمل. فعلى سبيل المثال في الجمل (أ) و(ب) و(جـ) نجد أن الجملتين (ب) و(جـ) محولتان من الجملة (أ) بوساطة اجراء تحويل بنقل الاسم (الرجل) في الجملة (ب)، و(التفاحة) في الجملة (جـ) بنقلها ووضعها في موقع بدء الكلام واجراء عدد من التعديلات؛ إذ نضع ضميراً في المكان الذي كان يحتله الاسم الخاضع لهذا التحويل كما نلاحظ في الجملة في (ب) وفي (جـ)، إذ يُعتمد مفهوم التحويل عندما تُفيد أكثر من جملة واحدة المعنى ذاته، على الرغم من تباين تراكيبها. فنقول إنّ الجمل هذه متحولة من جملة واحدة موجودة في مستوى البنية العميقة[26].

جـ ـ الحمل على المعنى والتحريف :

أمّا الحمل على المعنى فهو ركن أساس في شجاعة العربية ذلك أنّه يقوم على البناء العميق للتركيب، وهو يحمل دلالات كثيرة وربّما قيوداً بعيدة، ومن ثم ينظر إلى الحمل على المعنى على أنّه "ما ترك فيه حكم ظاهر اللفظ إلى حكم جديد هو المعنى المراد والمقصود، لا من قبيل الالغاز والإلباس بل لأغراض بلاغية تناهيا في الفصاحة ووجوه البيان"[27]. ويحتاج إلى قوة الملاحظة واعمال العقل والفهم الثاقب للمتلقي في معرفة الروابط الدلالية بين أجزاء التركيب وعناصره وهذا بحد ذاته شجاعة وإن صح التعبير بوصف اللغة بالجنون ـ ونقصد به المعنى الإيجابي بالطبع بعيدا عن سلبية اللفظ ـ ، قال ابن جنّي: "وقد أرينا وجهه، ووكلنا الحال إلى

(20) ينظر : علم لغة النص النظرية والتطبيق ، د.عزة شبل محمد ، تقديم د.سليمان العطار ، الناشر مكتبة الآداب ، القاهرة . مصر ، ط1 ، 1428هـ . 2007م/69.

(21) ينظر: لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ،محمد خطابي ،المركز الثقافي العربي ، (د.ط) ، 1988م: 21 . 22.

(22) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: 69.

(23) ينظر : (اشكالية زيادة المبنى ودلالتها على زيادة المعنى دراسة تطبيقية على السين وسوف في القران الكريم) ، د. محمد ذنون يونس فتحي الراشدي ، مجلة ابحاث كلية التربية الاساسية ، جامعة الموصل . العراق ، المجلد 8 ، العدد 4 : 183.

(24) الخصائص : 1/ 237.

(25) ينظر: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الالسنية)، د. ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، لبنان، ط2 ، 1406هـ – 1986م : 154 . 156.

(26) ينظر: الالسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، د. ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت . لبنان ، ط2 ، 1406هـ . 1986م : 14.

(27) (التأويل الحملي)، د. نيازي محمد عبد الرازق، مجلة كلية الآداب – جامعة بورسعيد، العدد التاسع، يناير . 2017م: 334.

قوة النظر وملاطفة التأول"[28]. قد يندرج مفهوم الحمل على المعنى ضمن أدبيات كثيرة في الدرس اللساني الحديث ولا سيما في مسألة المقصدية ضمن نظرية الأفعال الكلامية المستندة بالأساس إلى مفهومي القصد والمواضعة، والتي تتضمن إنجاز ثلاثة وجوه لأفعال الكلام ما يهمنا في هذا الموضع هو (قوة فعل الكلام) أي: قصد المتكلم الذي يرمي إليه بقوله شيئا ما، فإذًا لم يسمع المخاطب ما أخبر به أو إنّه لم يحمل الكلام على محمل الجد وعلى وجهه لم يصح أن نقول إنّه قد تم تحذيره. ففهم الدلالة يتوقف على فهم تركيبية القولة، وفهم قصد قائلها منها. وقد عدَّ أوستن المقصد شرطًا أساسيًا لنجاح (فعل الكلام) بشكل تام، فلا بد للمشاركين في عملية التواصل الكلامي من المقصدية الواضحة التي تؤدي إلى دفع (لازم فعل الكلام) إلى حيز التنفيذ، والإخلال بشرط القصد يعد إنجازًا للفعل ولكن بطريقة غير مرضية وقد فرق سيرل فيما بعد بين مقصديتين لغويتين هما: مقصدية الدلالة ومقصدية اللفظ مبينا أنّه لا تستطيع أن تفهم الأدبيات المعاصرة عن القصدية، إن لم تدرك الفرق بين المقصدية الدلالية ومقصدية اللفظ،، فالمقصدية الدلالية، هي تلك الصفة في العقل التي تمكنه من التوجه نحو، أو حول الأشياء، أو الحالات الواقعية في العالم، باستقلال عنها. وأمّا المقصدية اللفظية، فهي صفة تخص جملا وقضايا موجودات لغوية أخرى معينة هذا يعني أن المقصدية الدلالية تخص المعنى غير الحرفي للغة، أو (المعنى الذي يقصده المتكلم)، والمقصدية اللفظية تخص المحتوى القضوي للعبارات في اللغة، أو (معنى الكلمة أو الجملة)[29].

أمّا التحريف فقد ذكر ابن جنّي أنّه قد جاء في ثلاثة أضرب: "الاسم والفعل والحرف. فالاسم يأتي تحريفه على ضربين: أحدهما مقيس، والآخر مسموع غير مقيس

الأول ما غيَّره النسب قياسًا، وذلك قولك في الإضافة إلى نَمِر: نَمَريّ، وإلى شقِرة: شَقَريّ، وإلى قاض: قاضَوِيّ, وإلى حنيفة: حَنفيّ، وإلى عدِيّ: عَدَويّ، ونحو ذلك. وكذلك التحقير وجمع التكسير نحو: رجل: ورُجَيل ورجال.

الثاني على أضرب: منه ما غيَّرته الإضافة على غير قياس كقولهم في بني الحُبْلَى حُبَلِيّ, وفي بني عَبِيدة وجَذِيمة: عُبَدِيّ وجُذَمِيّ, وفي زَبِينة: زَبانيّ, وفي أَمس: إمسيّ, وفي الأُفُق: أَفَقِيّ, وفي جَلولاء : جَلوليّ, وفي خرسان: خُرْسِيّ, وفي دَسْتَواء : دستوانيّ.

ومنه ما جاء في غير الإضافة، وهو نحو قوله :

من نسج داود أبي سلام

يريد: أبي سليمان, وقول الآخر :

وسائلة بثعلبة بن سير   وقد علقت بثعلبة العلوق

يريد: ثعلبة بن سيار, وأنشدنا أبو علي:

أبوك عطاء ألأم الناس كلهم

يريد: عطية بن الخطفي, وقال العبد:

وما دمية من دُمَى ميسنا   ن معجبة نظرًا واتصافًا

أراد: ميسان, فغير الكلمة بأن زاد فيها نونًا فقال: ميسنان"[30]

ومع هذا العرض لشجاعة العربية لدى ابن جنّي نجد كثيرا من الآليات التي تستعملها اللغات الأخرى الآن مقاربة لآليات اللغة العربية، ومع قدم هذه الطروحات إلاّ أننا نجد أنّ المحدثين قد احتفلوا بإنجازاتهم في مجال اللسانيات أو النظريات اللغوية المعاصرة، ونحن لا نقلل من شأن هذه الإنجازات غير أننا نعدها استكمالا للمعرفة على مرّ العصور، فالعلوم تراكمية وليست حكرا على أمة ما، ومن هنا كان البناء والاخذ من الاقدمين أمرا مهما في التقدم والتطور، ومع ذلك نرى أنّ اللغة العربية كانت وما زالت شجاعة من جوانب كثيرة، وبعيدا عمّا طرحه ابن جنّي في البناء الداخلي للغة أو الآليات الداخلية للغة لتتأقلم مع متغيرات الخطاب والحدث الكلامي فإنّ اللغة العربية شجاعة من حيث الفكر والوجود، إذ إنّها تعرضت لكثير من محاولات الطمس والتغيير والتحريف ومع ذلك استطاعت الصمود والاستمرار، فعندما انتشر الإسلام في بقاع الأرض وفي زمن قياسي وجدنا أنّ كثيرا من اللغات انزاحت أمام اللغة العربية من غير أن يمارس المسلمون سياسة الطمس أو التهجير أو الاقصاء لهذه اللغات، أمّا اللغة العربية فقد مرت بظروف وأوضاع كثيرة من أجل طمسها والقضاء عليها إلاّ أنّها عادت وبقوة، ومع التطور في وسائل التواصل ولا سيما التواصل الاجتماعي نرى أنّ اللغة العربية أخذت زمام الأمور وصارت المنصات الالكترونية تعج بالألفاظ العربية والتراكيب الفصيحة من هنا كان مفهوم شجاعة العربية يختلف قليلا عما ذكره ابن جني، فعند ابن جنّي شجاعة العربية تكون في جوهرها وفي بنائها من حيث استعمال القوانين والتأقلم مع البيئة عبر آليات تسهم في احتوائها الالفاظ والعبارات وجعلها مطاوعة أو خاضعة لقوانين اللغة العربية

أمّا شجاعة العربية في عصرنا الحاضر فيضاف إلى ما قدّمه ابن جنِّي البناء الفكري والمنظومة المعرفية للغة نفسها وكذلك الرابط المهم للبقاء الذي لم يغب عن ابن جنِّي إلاّ أنّه لم يكن بحاجة إلى ذكره أنّ اللغة العربية ارتبطت بالقرآن الكريم ولا يمكن فهم القرآن الكريم دون الرجوع إلى اللغة وأساليبها واستعمالاتها.

---

(28) الخصائص : 235/2

(29) ينظر: (المقصدية في ضوء التداولية المعرفية – قراءة لنماذج مختارة من شعر محمد بن حازم الباهلي)، أ.م.د.عبد الله خليف خضير وعلا هاني صبري، مجلة آداب الرافدين، ملحق العدد 90، السنة الثانية والخمسون، عدد خاص بالمؤتمر العاشر لكلية الآداب/ جامعة الموصل ، ربيع الثاني 1444هـ / تشرين الثاني . 2022م : 115 . 117.

(30) الخصائص : 436/2.

بعد كلّ هذا العرض لآليات ـ أو العناصر ـ عند ابن جنّي يبقى السؤال القائم: هل استوفى ابن جنّي في باب شجاعة العربية كلّ العناصر أو الآليات؟! وهذا ما سنحاول مقاربته في الصفحات القادمة.

أبواب أخرى لشجاعة العربية

قد تكون اللغة ابعد ممّا نتصور، فهي ليست وسيلة للتواصل فحسب بل قد تكون سمة حضارية للمجتمعات ومن خلالها يمكن أن نحكم على مجتمع ما على أنّه مجتمع متحضر ومن شجاعة العربية أن من الغربيين وهو الباحث الفرنسي غريماس قد عدّ الأضداد في الثقافة العربية ـ وتعني أنّ الرمز اللغوي يعبر عن الشيء وعكسه، ويقصد بها "في اصطلاح اللغويين الكلمات التي تؤدي إلى معنيين متضادين بلفظ واحد؛ ككلمة (الجون) تطلق على الأسود والأبيض، و(الجلل) تطلق على الحقير والعظيم، وهكذا"[31] ـ أحدَ معالم الحضارة العربية[32]، وتعتمد الأضداد على السياق أو ما يتقدم الكلمة أو ما يأتي بعدها لفهمها، يقول الأنباري: "وَمَجْرَى حروف الأضدادِ مجرى الحروف التي تقع على المعاني المختلفة، وإن لم تكن متضادة، فلا يُعرف المعنى المقصود منها إلاّ بما يتقدّم الحرف ويتأخر بعده ممّا يُوضِحُ تأويله، كقولك: حَمَل، لولد الضّأْنِ من الشّاء ، وحَمَل اسم رجل، لا يعرف أحدُ المعنيين إلاّ بما وصفنا"[33]، ومع أنّ نظرة غريماس للأضداد على أنّها سمة عادية في اللغة إلاّ أنّها تعرض فكرة أساسية ألا وهي أنّ اللغة العربية شجاعة في استعمال الألفاظ وطريقة تحميلها لدلالات معينة عبر الإفادة من السياق ولا سيما أنّ هذا الاستعمال يمكن أن يدخل ضمن ما يُعرف عند المحدثين بمبدأ النقيض، الذي تناوله جون كوين عندما تحدث عن علاقة اللفظ بالمعنى من خلال التضاد أو النقيض، فعلى سبيل المثال حضور كلمة (بارد) في الخطاب أو الكلام يدفع بالكلمة المعاكسة (حار) الى الاختفاء وإن وجدت ذهنيا لدى المتكلم[34]؛ وهنا تبرز براعة الاستعمال العربي للألفاظ من خلال اسقاط المحورين المحور الافقي على المحور العامودي واستطاعت أن توائم العلاقة بين (اللغة والكلام) أو الحضور والغياب أو المستوى العمودي والمستوى الأفقي كما يسميهما جاكبسون؛ وذلك أن اللغة تتمثل في مستويين المستوى العمودي والمستوى الأفقي[35]، المستوى العمودي الذي يرمز إلى اللغة وهي الجانب الغيابي، والمستوى الأفقي الذي يرمز إلى الكلام ويمثل الجانب الحضوري؛ ومن هنا نجد أنّ العلاقة الجدلية بين هذين المحورين تتمثل في الاضداد ذلك أنّها تمثل تداخلا بين هذين المحورين فنجد أنّ اللفظة قد تحمل معنيين متضادين في الوقت ذاته وهذا يدخلنا في جدلية الحضور للمحور الغيابي على مستوى اللفظ في المحور الحضوري، لكن المحور الغيابي يجلب معنيين متضادين ـ متعاكسين ـ في اللفظ الواحد، فعلى سبيل المثال في الكلمات الآتية :

المتظلِّم: الذي يشكو ظُلامته والظالم.

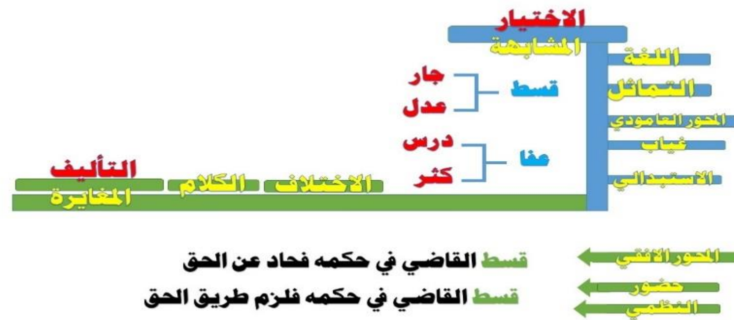
الزُّبْية: المكان المرتفع وحفرةُ الأسد.

عَفَا: دَرَس وكَثُر.

قسط: جارَ وعدَل.

المسجور: المملوء والفارغ.

فهذه الألفاظ على حسب التصنيف اللساني للمحورين ستظهر بطريقة معينة كما يظهرها المخطط الآتي :



(31) كتاب الاضداد ، محمد بن القاسم الانباري ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا . بيروت، (د.ط) ، 1407هـ . 1987م : مقدمة المحقق : أ

(32) ينظر : في المعنى (دراسات سيميائية) ، الجيرداس جوليان غريماس ، تعريب : أ.د. نجيب غزاوي، مطبعة الحداد اللاذقية، (د.ط) ، 1999م : 5.

(33) كتاب الاضداد : 3. 4.

(34) ينظر : اللغة العليا . النظرية الشعرية، جون كوين، ترجمة: أحمد درويش، المشروع القومي للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط2 ، 2000م : 84 . 86.

(35) ينظر: قضايا الشعرية، رومان جاكبسون، ترجمة: محمد الولي ، ومبارك حنون ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ـ المغرب ، ط1 ، 1988م : 33 . 34,

فمن خلال المحور العمودي (محور اللغة) يلتقي المعنيان (العدل) و(الجور) في اللفظة (قسط)، بينما استعمال أحدهما في التركيب يوجب عدم ذكر الآخر معه؛ لأنّه لا يمكن أن يجتمعان للدلالة نفسها على ذات واحدة في الوقت نفسه، فعندما نقول : (قسط القاضي في حكمه فحاد عن الحق) يتبين لنا أنّه هنا بمعنى جار ولا يمكن أن نذكر معنى العدل إلاّ ذهنيا في محور اللغة، غير أنّ الاضداد في اللغة العربية استعملت في الخطاب بمدلوليها المتضادين وما يدفع أحد هذين المدلولين إلى الاختفاء هو السياق الذي يمنع من اجتماعهما؛ وبذلك حققت اللغة العربية اتساعا في الاستعمال.

بعد الاطلاع على ما قدمه ابن جنّي في (باب في شجاعة العربية) الح عليّ سؤال مهم: اين الاشتقاق ؟! وما دوره من كلّ هذا ؟!

وكانت الإجابة عند ابن جنّي في كتابه الخصائص إذ تحدث عن الاشتقاق لكن بطريقة جعلتني اشعر أنّه ربط بين باب شجاعة العربية والاشتقاق لكن بشكل ضمني فما المعيار أو المقياس لضبط هذه العناصر والآليات وعدم جعلها تخرج عن حدود السيطرة أو أن تصل حد الجنون ـ إذا اعتمدنا مدلول الجنون بوصفه مدلولا من مدلولات الشجاعة ـ ومن خلال الاشتقاق نرى أنّ اللغة العربية اتسعت من خلال استعمال الألفاظ بوساطة الاشتقاق من الألفاظ الأعجمية مع ضوابط لهذا الاشتقاق، يقول ابن جنّي في (باب في أن ما قِيس على كلام العرب فهو من كلام العرب) : "هذا موضع شريف وأكثر الناس يضعُف عن احتماله لغموضهِ ولطفهِ والمنفعةُ به عامَّة والتساُنُد إليه مُقَو مُجْدٍ وقد نصَّ أبو عثمان عليه فقال ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب ألا ترى أنك لم تسمع أنت ولا غيرُك اسم كلّ فاعل ولا مفعول وإنّما سمِعتَ البعضِ فقسْت عليه ... وممّا اشتقَّته العرب من كلام العجم ما أنشدَناه من قول الراجز:

هل تعرف الدار لأُمِّ الخزرِج منها فظَلْتَ اليوم كالمزرَّجِ

أي الذي شرب الزَرَجُون وهي الخمر فاشتق (المزرجَّ) من (الَزرجُون)، وكان قياسه كالمزرْجَن من حيث كانت النون في زَرَجُون قياسها أن تكون أصلا إذا كانت بمنزلة السين من قَرَبُوس. قال أبو علي ولكن العرب إذا اشتقَّت من الأعجميّ خلَّطت فيهِ قال والصحيح من نحو هذا الاشتقاق قول رؤْبة :

في خِدْرِ مَيأَّس الدُمَى معْرَجْنَ

وأنشدَناه المعرجن باللام فقوله (المعرجن) يشهد بكون النون من (عُرْجُون) أصلا وإن كان من معنى الانِعراج ألا تراهم فسّروا قول الله تعالى (حَتَّى عَادَ كَالْعُرجُونِ الْقَديم)، فقالوا هي الكِبَاسة إذا قدمت فأنحنت فقد كان على هذا القياس يجب أن يكون نون عرجون زائدة كزيادتها في زيتون غير ان بيت رؤبة الذي يقول فيه المعرجن منع هذا وأعلمنا أنّه أصل رباعي قريب من لفظ الثلاثيّ كِسَبْطرٍ من سَبِطٍ ودِمَثْر من دَمِث ألا ترى أنّه ليس في الأفعال فَعْلَن، وإنما ذلك في الأسماء نحو عَلْجَن وخَلْبَن"[36].

ومن خلال نص ابن جنّي السابق نرى أنّ الحد أو الضابط لكلّ ذلك الاشتقاق الذي من خلاله يمكن معرفة الأصول وما يترتب عليها من مسائل تضبط نمو اللغة واتساعها من غير أن يكون هناك خلل في عملية الاتساع. وكذلك اعتمد اصحاب المدرسة التوليدية والتحويلية على مفهوم الاشتقاق في رؤيتهم للغة وعدّوه ضابطاً مهماً لاتساع اللغة[37].

الخاتمة

وفي الختام لا يسعنا إلاّ أن نكمل رحلتنا في هذا الموضوع الذي يبدو أنّه فتح بابا على آفاق واسعة يمكن أن تتدرج من خلالها أفكار وآليات كثيرة تجعل من اللغة شجاعة، ولكننا سنكتفي بذكر عدد من النتائج لضيق الوقت :

بالقراءة السريعة لكتاب الخصائص نجد أنّه عرض قضايا فكرية مهمة تنم عن وعيه ببناء اللغة وجوهرها ؛ لذا افرد بابا تحدث فيه عن شجاعة العربية ومعظم المسائل التي ذكرها فيه هي في الدراسات الحديثة ابواب مميّزة ولها نظرياتها وتفسيراتها من هنا نرى عمق الاختيار لابن جنّي والفهم لهذا التقسيم الذي عدّه شجاعة، ورأيت فيه جنونا من التفكير اوصل صاحبه إلى أن يخترق النظريات الحديثة مع تباعد الأزمان والأوقات وكانت اللغة شجاعة بحق.

حاول الغربيون وضع نظريات وقواعد صارمة للغتهم مع ذلك تلك القواعد لم تستطع أن تقدم لهم الشيء الكثير ولا سيما أن معظم النظريات التي لديهم فشلت ولم تستطع الاستمرار طويلا وهذا الأمر لا ينطبق على ما قدمه العرب قديما من نظريات؛ إذ ما زالت هذه النظريات مستعملة حتى يومنا هذا ومنها شجاعة العربية لا بل رأينا امتداها وجذورها في نظريات للغات أخرى، كما مرّ بنا في النظرية التوليدية والتحويلية وغيرها من النظريات الغربية الحديثة.

لم تخرج الدراسات الحديثة كثيرا عمّا ذكره العرب قديما وهذا ما تلمسانه من خلال عرض باب واحد من أبواب كتاب الخصائص لابن جنّي فما بالك بعرض بقية الأبواب ومقارنتها مع ما قدمه الغربيون.

لشجاعة العربية عناصر يعرف من خلالها مدى قوة اللغة وتأقلمها ومنها الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والتحريف والحمل على المعنى والضابط لمعظم عمليات التأقلم (الاشتقاق) الذي يعد معيارا مميّزاً لمعرفة الأصول والزوائد.

---

(36) الخصائص : 357/1 . 359.

(37) ينظر : اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الادنوي: مفاهيم وامثلة ،د. مصطفى غلفان بمشاركة : د. امحمد الملاخ ، ود. حافظ اسماعيلي علوي ، عالم الكتب الحديث ، اربد . الاردن، ط1 ،1431هـ . 2010م : 382.

تعد الاضداد مظهرا مميّزا من مظاهر شجاعة العربية التي تؤكد على أهمية السياق في ايضاح المدلول الحقيقي للفظ، وتعتمد التأويل لمعرفة دلالة اللفظة ضمن سياقها.

Sources and references:

1. Al-Jana Al-Dani in the Letters of Meanings, Al-Hassan bin Qasim Al-Muradi (d. 749 AH), investigation: Dr. Fakhr Al-Din Qabawah, and Professor Muhammad Nadim Fadel, Muhammad Ali Beydoun Publications, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut - Lebanon, 1st edition, 1413 AH - 1992 AD
2. Animal, Amr bin Bahr bin Mahboub Al-Kinani with loyalty, Al-Laithi, Abu Othman, famous for Al-Jahiz (deceased: 255 AH), Dar Al-Kutub Al-Alami - Beirut, 2nd edition, 1424 AH .
3. Characteristics, Abu al-Fath Othman bin Jinni al-Mawsili (d. 392 AH), investigation by Muhammad Ali al-Najjar, presented by Dr. Abdul Hakim Radi, the Egyptian Book House, the General Authority for Cultural Palaces - Cairo, (Dr. I), 2006 AD .
4. Clarification of the purposes and paths of explaining the millennium of Ibn Malik, Abu Muhammad Badr al-Din Hassan bin Qasim bin Abdullah bin Ali al-Muradi al-Masri al-Maliki (d. 2008 AD .
5. Deletion in the light of the science of the language of the text, a. Muhammad Al-Amin Mosaddeq, Al-Omda Journal in Linguistics and Discourse Analysis, Volume 3, Issue 2, Algeria, 2019.
6. Equity in matters of disagreement between the two grammarians: the Basrans and the Kufis, Imam Kamal al-Din Abu al-Barakat Abd al-Rahman bin Muhammad bin Abi Saeed, al-Anbari, the grammarian (d. dt) .
7. Evidence of Miracles, Imam Abd al-Qaher al-Jurjani (d. 471 AH), explanation and commentary: Dr. Muhammad Abdel Moneim Khafaji, Dar Al-Jeel, Beirut - Lebanon, 1st edition, 1424 AH - 2004 AD .
8. Generative and transformational linguistics and Arabic grammar (linguistic theory), d. Michel Zakaria, University Foundation for Publishing and Distribution, Lebanon, 2nd edition, 1406 AH - 1986 AD.
9. Generative and Transformational Linguistics and Arabic Grammar (Simple Sentence), d. Michel Zakaria, University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, Beirut - Lebanon, 2nd edition, 1406 AH - 1986 AD.
10. Generative linguistics from the pre-standard model to the minimum program: concepts and examples, d. Mustafa Galfan with the participation of: Dr. Ahmed Al-Malakh, and Dr. Hafez Ismaili Alawi, The World of Modern Books, Irbid - Jordan, 1st edition, 1431 AH - 2010 AD.
11. Higher Language - Poetic Theory, John Quinn, translated by: Ahmed Darwish, National Project for Translation, Supreme Council of Culture, 2000 .
12. Harmony in the Qur'anic text, its manifestations and aesthetics, d. Abdullah Khalif Khudair Al-Hayani, Dar Al-Nabigha for Publishing and Distribution, Egypt, 1st edition, 1441 AH - 2019 AD.
13. In Language Syntax and Its Structures, Approach and Application, Dr. Khalil Ahmed Amayreh, The World of Knowledge - Jeddah, 1st edition, 1404 AH - 1984 AD .
14. Intentionalism in the light of knowledge pragmatics - a reading of selected examples of the poetry of Muhammad bin Hazem Al-Bahli, Prof. Dr. Abdullah Khalif Khudair and Ola Hani Sabri, Journal of Al-Rafidain Arts, Supplement to Issue 90, Fifty-second year, special issue of the tenth conference of the Faculty of Arts / University Mosul, Rabi` al-Thani 1444 AH / November 2022 AD .
15. Linguistics of the Text, An Introduction to the Harmony of Discourse, Muhammad Khatabi, The Arab Cultural Center, (Dr. I), 1988 AD .
16. Lisan Al-Arab, Abu Al-Fadl Jamal Al-Din Muhammad bin Makram bin Manzoor Al-Ansari Al-Afriqi Al-Masry (d. 711 AH), verified and commented on it and put footnotes: Amer Ahmed

Haidar, reviewed by: Abdel Moneim Khalil Ibrahim, Publications by Muhammad Ali Baydoun, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut - Lebanon, 1st edition 1426 AH - 2005 AD.

17. Mughni al-Labib, on the books of Arabs, Imam Abu Muhammad Abdullah Jamal al-Din bin Yusuf bin Ahmed bin Abdullah bin Hisham al-Ansari al-Masry (d. 761 AH), investigation: Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, Dar al-Tala'i, Cairo, Egypt, (Dr. I), 2005 AD .
18. On Meaning (Semiotic Studies), Algirdas Julian Grimas, Arabization: Prof. Dr. Najib Ghazzawi, Al-Haddad Press, Lattakia, (Dr. I), 1999 AD .
19. Paving buildings in explaining the letters of meanings, by Imam Ahmed bin Abd al-Nour al-Malqi (d. 702 AH), investigation: Prof. Dr. Ahmed Muhammad Al-Kharrat, Dar Al-Qalam - Damascus - Syria, 3rd edition, 1423 AH - 2002 AD .
20. Poetic Cases, Roman Jacobson, translated by: Muhammad Al-Wali and Mubarak Hanoun, Dar Toubkal Publishing House, Casablanca, Morocco, 1st edition, 1988 AD .
21. Pregnancy interpretation, d. Niazi Mohamed Abdel Razek, Journal of the Faculty of Arts - Port Said University, Issue 9, January 2017.
22. Text, discourse and procedure, Robert de Beaugrand, translated by Dr. Tamam Hassan, World of Books, 1 edition, 1418 AH - 1998 AD.
23. The Arabic sentence, its composition and divisions, d. Fadel Saleh Al-Samarrai, Publications of the Iraqi Scientific Academy, Baghdad - Iraq, (Dr. I), 1414 AH - 1994 AD.
24. The Book of Opposites, Muhammad bin Al-Qasim Al-Anbari, investigation: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Al-Asriyyah Library, Sidon - Beirut, (Dr. I), 1407 AH - 1987 AD .
25. The book, Abu Bishr Amr bin Othman bin Qanbar (d. 180 AH), investigation and explanation: Abd al-Salam Muhammad Harun, Al-Khanji Library in Cairo, Dar Al-Rifai in Riyadh, 2nd edition, 1403 AH - 1983 AD.
26. The Linguistics of the Text, Theory and Application, Dr. Azza Shebl Muhammad, presented by Dr. Suleiman Al-Attar, Publisher, Library of Arts, Cairo - Egypt, 1st edition, 1428 AH - 2007 AD.
27. The problem of increasing the building and its indication of increasing the meaning, an applied study on the Seine and Will in the Holy Qur'an, d. Muhammad Thanoun Younes Fathi Al-Rashdi, Journal of Research of the College of Basic Education, University of Mosul, Iraq, Volume 8, Issue 4 .
28. The style that includes the secrets of rhetoric and the sciences of the realities of miracles, Imam Yahya bin Hamzah bin Ali bin Ibrahim Al-Alawi Al-Yemeni, review, control and audit: Muhammad Abdul Salam Shaheen, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut - Lebanon, 1st edition, 1415 AH - 1995 AD .
29. The Useful Chapters in Al-Waw Al-Mazidah, Salahuddin Abu Saeed Khalil bin Kikildi bin Abdullah Al-Dimashqi Al-Ala'i (761 AH), investigation: Hassan Musa Al-Shaer, Dar Al-Bashir - Amman, 1st edition, 1410 AH 1990 AD .
30. Theory and Application of the Language of the Text, Dr. Azza Shebel Muhammad, presented by Dr. Suleiman Al-Attar, Publisher, Library of Arts, Cairo - Egypt, 1st edition, 1428 AH - 2007 AD